الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية
اللجنة الادارية الوطنية
ـ فدرالية أوروبا والوطن العربي ـ

عروض نظرية للحلقات والخلايا الحزبية

٤ ـ الحزب الثورى الطليعي والمفاهيم التنظيمية

محتويات الموضوع :

تقديم .

* لماذا التنظيم الثورى ؟
* التنظيم الثورى ضرورة تاريخية :
  ١) التنظيم السياسي الاقطاعي .
  ٢) التنظيم السياسي البرجوازى .
* طبيعة التنظيم الثورى :
  ١) الاختيار الايديولوجي .
  ٢) التركيبة الطبقية .

ـ التمييز التنظيمي بين الطبقة العاملة وطليعتها :

ـ مفهوم الطليعة :

أ) الطبقة العاملة، طليعة الشعب الكادح .
ب) الطليعة الثورية الحزبية .
٣) التضامن الأممي .

* المبادئ التنظيمية التي يرتكز عليها الحزب الثورى :
  ١) المركزية الديمقراطية .
  ٢) القيادة الجماعية .

ـ ضوابط المركزية الديمقراطية :

أ) الانضباط والمحاسبة .
ب) النقد والنقد الذاتي .
ج) الانتساب الى الحزب .

* الخلاصة .

الحزب الثورى الطليعي والمفاهيم التنظيمية

من الواضح جدا بأن كل مجتمع وكل شعب يشهد صراعات اجتماعية قد تتفاوت في درجة حدتها ومظاهرها. لكن يظل الصراع الطبقي ، الصراع الاجتماعي هو العامل الأساسي في حركة التطور في حياة كل شعب تجتمع فيه الطبقات المتناحرة.. هذا الصراع بين المستغَلين والمستغِلين، بين المضطَهدين والمضطهِدين... ليس فقط في اطاره العام كصراع طبقي غير منظم، انما يعكس نفسه في طبيعة العمل السياسي والعمل الحزبي المنظم في كل طبقة ولكل فئة من فئات المجتمع. الصراع الطبقي له رموزه السياسية الممثلة في الأحزاب التي تناضل من أجل مصالح طبقاتها السياسية والاقتصادية والثقافية... فالاقطاع له تنظيماته وأحزابه السياسية التي تعبر عن جوهر المصالح المادية والروحية للاقطاع، وأيضا البرجوازية تجد من يمثلها من الأحزاب التي تعكس مصالحها وتوجهها...

وقد استطاعت الطبقة العاملة أن تخلق أحزابها المميزة عن كل الأحزاب، بدءا من تجربة عصبة الشيوعيين والأممية الأولى مرورا بتجربة الأحزاب الشيوعية الى الأحزاب الثورية الحالية، وقد مثل قيام حزب البلاشفة بقيادة لينين رمزا ثوريا لطبيعة الحزب من طراز جديد، لتصبح هذه الأسس هي التقاليد الثورية الجديدة لأحزاب الطبقة العاملة في البلدان الاشتراكية وفي مختلف بلدان العالم.

ان بقاء هذه الأحزاب سيظل ما بقيت الطبقات التي تمثل مصالحها، وحتى أحزاب الطبقة العاملة في البلدان الاشتراكية سوف تستمر الطليعة في عهد دكتاتورية البروليتاريا تواصل نضالها في مرحلة الاشتراكية حتى ينتهي التناحر الطبقي ويتطور المجتمع ايديولوجيا واقتصاديا وثقافيا، بحيث يصبح خاليا من استغلال الانسان للانسان ويمثل بشمول جوهر المصالح المادية والمعنوية لكل الشغيلة ليتحدد في الأخير ضمن التشكيلة الاجتماعية الجديدة مسار البشرية الى أين يتجه.

هذا التقديم كان لا بد منه قبل معالجة المفاهيم التنظيمية التي يعتمدها الثوريون كقواعد ثابتة لبناء الاداة الثورية وتسييرها داخليا وضبط دورها وسط الشعب كطليعة للكفاح والبناء الاشتراكي.

من هنا عندما نبدأ الحديث عن الحزب الثورى لا نقصد به صفة عامة يمكن أن نطلقها على أى حزب، بل هي صفة محددة تخضع لمقاييس طبقية ايديولوجية سياسية ثقافية، لأنه من الممكن أن يكون الحزب البرجوازى في ظل المجتمع الاقطاعي حزبا طليعيا. ومن الممكن أن تبدو بعض الأحزاب الراديكالية في ظل البرجوازية أيضا وكأنها أحزاب طليعية. لكن في حديثنا حول الحزب الثورى الطليعي انما نقصد الحزب الذى اختار لنفسه الاشتراكية العلمية كاختيار ايديولوجي وأداة للتحليل الاقتصادى والاجتماعي والسياسي في نفس الوقت وحدد استراتيجية ثورية واضحة وأهدافا مرحلية واقعية تطابق الواقع الملموس وطبيعة المرحلة التي يجتازها نضال الكادحين. ونعني بالاستراتيجية الثورية تلك التي تستهدف التغيير الجذرى لهياكل الاستغلال (والاستعمار والتبعية بالنسبة للمستعمرات وشبه المستعمرات...)، وتقويض علاقات الانتاج الرأسمالية وما قبل الرأسمالية، وبناء مجتمع اشتراكي متحرر قوامه الملكية الجماعية لوسائل الانتاج والمبادلات يتصرف فيها المنتجون بواسطة تنظيماتهم التي تمكنهم من سلطة القرار والمراقبة والتسيير لشؤونهم بأنفسهم في أفق مجتمع يمثل بشمول جوهر مصالح كل الشغيلة.

ضمن هذا الوضوح في الخط الايديولوجي والتحديد الدقيق للاستراتيجية الثورية وأهدافها البعيدة والقريبة المدى، تأتي المبادئ والمفاهيم التنظيمية كاستنتاج طبيعي وامتداد عملي لمجمل هذه الاختيارات.

فالمبادئ التنظيمية للحزب والأسس الفكرية التي تنبني عليها هي المبادئ والمفاهيم التنظيمية للحزب الثوري الطليعي، الحزب الذي له تقاليد ثورية عريقة وتجربة عشرات السنين، ولسنا نحن الوحيدين الذين يمكننا أن نبدأ تجربة جديدة، بل ان تلك التجربة ملك للبشرية ولكل الثوريين، ملك لكل المناضلين والكادحين. وبالتالي، فنحن لا نأتي بشيء جديد، وانما نحاول أن نستوعب تلك التجارب والأسس والمفاهيم التي قامت عليها الأحزاب الثورية ونحاول أن نطبقها بشكل خلاق على واقع حزبنا، ايمانا منا بأن البديل التاريخي الحقيقي للطبقة العاملة والجماهير الكادحة، هو البديل الطبقي الشامل، وبالتالي هو البديل السياسي الذي لن يتأتى الا كاستمرار خلاق وتطور حتمي متقدم لما هو موجود.

ان الفهم الجدلي الصحيح يقتضي رفض النسخ الميكانيكي ويتطلب تمحيص كل التجارب — رغم اعتماد الثوريين في أرجاء المعمور على مبادئ ثابتة — والتحقق منها واعادة اكتشافها في مجرى نضال حزبنا ونضال جماهير شعبنا.

"ان الحزب الثوري كما وصفنا جماعاته وهيكله التنظيمي ومبادئ وشروط تسييره هو الحزب النموذجي المبني على مبادئ وهياكل برهنت التجربة الثورية العالمية على فعاليتها، هذا لا يعني أن كل الأحزاب الثورية كانت تنظيماتها منطبقة تمام التطابق لهذا الهيكل والمبادئ من الناحية العملية... ذلك أن تكوين الحزب وظروف نشاطه مرتبطة بطبيعة البلاد والشعب الذي يعمل في وسطه، وبتقاليده الثورية وبالمرحلة التاريخية التي يمر منها". (المذكرة التنظيمية، ١٩٦٥، ص: ٢٠).

لماذا التنظيم الثوري ؟

ان العمل التنظيمي هو شكل التوسط بين النظرية والممارسة، وبتعبير أدق هو الأداة القادرة على ترجمة مجمل الاختيارات والمواقف الى حيز التنفيذ. فالهياكل التنظيمية ليست هدفا في حد ذاتها ولا معنى لها الا ضمن الاختيار الايديولوجي والاستراتيجي في اطار خط الاشتراكية العلمية، وبالتالي فان مجمل هذه الاختيارات قد تبقى حبرا على ورق اذا هي لم تترجم على المستوى التنظيمي والجماهيري بشكل مضبوط ومحكم وفق مبادئ وضوابط ثابتة. "ان العمل التنظيمي ليس غاية في حد ذاته، ان الحزب الذي نريد بناءه ما هو الا الأداة الضرورية لتحقيق أهدافنا الاشتراكية، قلنا كذلك ان أهدافنا في شتى الميادين معروفة، غير أنه من اللازم أن يحدد مذهب وبرنامج الحزب بشكل مضبوط حتى يتحقق الانسجام الفكري بين المناضلين وتتكون اطارات الحزب على أسس موحدة وواضحة". (المذكرة التنظيمية، ١٩٦٥، ص: ١٥).

ان معالجة المبادئ التنظيمية لن يتم بمعزل عن ما هو ايديولوجي وسياسي، ذلك أن التنظيم الثوري يقوم على دعائم ثلاث تتلاحم كل دعامة مع الأخرى وتعبر عنها وتؤثر عليها تأثيرا مباشرا وحاسما:

ان فصل العمل التنظيمي فصلا ميكانيكيا عن العمل الايديولوجي والسياسي وممارسة قيادة تنظيمية محضة لنضال منظمات الحزب الثوري تشكل ظاهرة انحطاط وانحراف تؤدي بالحزب السياسي للطبقة العاملة الى السقوط في البيروقراطية...

كما أن البناء التنظيمي يبقى شكليا وهيكلا فارغا من أي محتوى ثوري عندما ينفصل عن البناء الايديولوجي والسياسي.

أما تخلف البناء التنظيمي عن المستوى الذي بلغه البناء الايديولوجي والسياسي فانه يهدد بتحويل الحزب الى نادٍ للنقاش وأداة عاجزة عن تحقيق أهدافها.

التنظيم الثوري ضرورة تاريخية

اذا كان الصراع الطبقي هوالعامل الأساسي لحركة التطور في حياة كل شعب تجتمع فيه الطبقات المتناحرة، فان جميع المجتمعات غير الاشتراكية تكون مقسمة الى طبقات، من بينها طبقة سائدة ومستغِلة تحتكر ملكية وسائل الانتاج وتمارس الاستغلال والسيطرة والهيمنة على بقية الطبقات بشتى الوسائل العنيفة منها والسلمية..

وتلجأ الطبقة السائدة الى مركزة السلطة في اطار الدولة كأداة ضرورية لفرض هيمنتها واستغلالها وتوسيع مصالحها وادامة سيطرتها، مستعملة جميع أجهزتها من أجل خدمة الأهداف الموجزة التالية :

ـ الترويج لايديولوجيتها الطبقية والدعاية لها وسط المجتمع بأسره (الاعلام، التعليم، الفن ...) ومحاولة ترسيخها وجعلها تسود في جميع العقول الموالية لها أو المعارضة مبدئيا.

ـ تنظيم وضبط جهاز القمع بمختلف تفرعاته ليكون قادرا على التدخل العنيف في كل وقت وحين لحماية مصالحها الأساسية ـ بدعوى حفظ الأمن العام ـ ومنع أي تغيير أساسي في النظام الاقتصادي والاجتماعي القائم.

ـ تسخير الجهاز الاداري والقضائي لتنظيم شؤونها وتقنين وتشريع الاستغلال والحفاظ والسهر عليه.

ان الطبقة السائدة تنظم نفسها عبر أجهزة الدولة أساسا لفرض ادامة هيمنتها واستغلالها. لكنها غالبا ما تحتاج كذلك الى تنظيم سياسي طبقي يكمل مهام أجهزة الدولة في تداخل وترابط معها. يجب التذكير بأن التنظيم السياسي هذا يشكل صورة مطابقة لأوضاع الطبقة السائدة نفسها، فيتبنى ايديولوجيتها ويخدمها من خلال المواقف والممارسات السياسية العملية، ويخدم مصالحها الاقتصادية والاجتماعية، كما أننا نجد في حياته الداخلية والعلاقات السائدة بين أفراده انعكاسا مباشرا لتلك الايديولوجية، ولنضرب على ذلك مثالين :

١ ـ التنظيم السياسي الاقطاعي

ان العلاقات السائدة بين أعضاء هذا التنظيم هي بالضرورة علاقة لا ديمقراطية، إذ لم تكن استبدادية، فالقاعدة العامة هي الولاء المشخص أو البيعة، والارتكاز على نخبة طبقية اقطاعية تتدرج المسؤولية والنفوذ والسلطة داخلها وفق هرم ممركز ومشخص، حيث يمركز الحاكم المطلق كل السلطات الاساسية، ثم يفوض جزء منها الى الأعيان الذين يختارهم من محيطه المباشر وفق شروط الولاء الشخصي والمصلحي، ويعمل أفراد هذا المحيط بدورهم على تقسيط الجزء الموكول لهم من السلطة وفق نفس المقاييس، وهكذا انطلاقا من هرم السلطة وصولا الى القاعدة الاجتماعية الواسعة.

٢ ـ التنظيم السياسي البرجوازي

يعكس في داخله الايديولوجية البرجوازية، حيث نجده يعيش وفق نظام الديمقراطية البرجوازية التي تعتمد حرية التعبير والمبادرة الفردية كضرورة حياتية لنمو وتطور النظام الرأسمالي نفسه، فنجد التنظيم السياسي الليبرالي يعتمد الانتخابات في تعيين الهيئات والأفراد القياديين تماما كما يتم الأمر بالنسبة للمؤسسات البرجوازية، كما نجده يولي أهمية خاصة لدور الفرد والزعيم ويقلص دور الهيئات والهياكل التنظيمية، ويلتجئ لأساليب التجمهر والتجمعات والاطارات الواسعة التي تسمح فقط بالمساهمة الشكلية للقاعدة الحزبية وليس بالمراقبة الدقيقة والفعلية للخط السياسي ومنفذيه.

نستخلص من كل هذا أن الطبقة العاملة والجماهير الشعبية عامة التي تسعى الى تغيير أوضاع الاستغلال وبناء المجتمع الاشتراكي، ملزمة بتنظيم نفسها لمواجهة الطبقة السائدة المستغلة والمنظمة عبر الدولة وعبر تنظيماتها السياسية الطبقية الخاصة بها. أي أن التنظيم الثوري ضرورة تاريخية بالنسبة لهذه الجماهير لكي تتمكن من القيام بثورتها وانتزاع السلطة من يد الطبقة السائدة التي لن تتنازل عنها طواعية في جميع الحالات.

طبيعة التنظيم الثوري

اذا ما سلمنا بضرورة التنظيم الثوري كضرورة تاريخية، وحددنا الهدف الاستراتيجي المطروح على هذا التنظيم تحقيقه، أي تحقيق التغيير الثوري الجذري لهياكل الاستغلال وبناء المجتمع الاشتراكي، فان المطروح هو تحديد طبيعة هذا التنظيم وأشكاله وأساليب عمله، سواء بالنسبة لتركيبته أو حياته الداخلية أو بالنسبة لنشاطه العام وسط المجتمع.

١ ـ الاختيار الايديولوجي:

لكي نعالج مسألة بناء الحزب الثوري لا بد من تحديد النظرية التي يعتمدها الحزب، لأننا نعرف بأنه "لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية"، ولابد أن يتحدد أولا الموقف الايديولوجي للحزب الذي نتحدث عنه.

فاذا كانت هناك أحزاب للاقطاع تعكس فكر الاقطاع، واذا كانت هناك أحزاب للبرجوازية تعكس أفكار البرجوازية، فان الأحزاب الثورية لها أيضا فكرها ولها ايديولوجيتها التي تستند الى الفكر الاشتراكي العلمي، والذي يجب أن نواصل دراستنا له بعمق، فهو ليس مجرد شعارات وكلمات تقال، أو تعريف للفكر مجرد وجامد، بل ان الفكر الاشتراكي العلمي هو المعارف الشمولية الكاملة، انه فكر الطبقة العاملة وحلفائها من الكادحين.

واذا كان الفكر البرجوازي جاء ليشكل نمطا جديدا للفكر الانساني في مرحلة من مراحل تطوره مقارنة بالفكر الاقطاعي، فان الاشتراكية العلمية جاءت لتشكل المفهوم الكامل الذي يحلل الواقع ويعمل من أجل تغييره وتطويره لمصلحة الكادحين.

ان الاختيار الايديولوجي، أي اختيار الاشتراكية العلمية، لا بد أن يكون ويبقى الأساس والمنطلق لتوجهنا فيما يتعلق ببناء الحزب الثوري، والأفكار العظمى للاشتراكية العلمية المستقاة من مصادرها ومنابعها الأصلية التي تبتعد عن أي ليبرالية أو تحريف أو تشويه لهذا الفكر، هي الأساس الذي يعبر عن مصالح الطبقة العاملة وعن مصالح القوى

الكادحة الحليفة لها.

ان هذا الاختيار يجعلنا مطالبين أكثر من أي وقت مضى بدراسة الفكر الاشتراكي العلمي باستفاضة وعمق واسعين، وفي نفس الوقت استخدام هذا العلم في التحليل والعمل على تغيير الأوضاع المجتمعية الاقتصادية والسياسية للمغرب أساسا وتحليل أوضاع المجتمعات الأخرى بمختلف البلدان الرأسمالية والبلدان التابعة. ان نظرة الفكر الى الجماهير والى الكون تحدد طبيعة القاعدة التنظيمية والعلاقة الجدلية بين الجماهير وطليعتها والترابط بين القمة والقاعدة التنظيمية التي تصنع الثورة.

ان تاريخ البلدان الاشتراكية وتاريخ الطبقة العاملة العالمية في البلدان الرأسمالية وكذا تاريخ القوى الثورية لحركة التحرر الوطني العالمية بصورة عامة، أصبح تراثا ثوريا غنيا بالدروس والتجارب والخبرات التي يمكن أن نستفيد منها لتعزيز قدراتنا الفكرية وامتلاك الرؤية الواضحة في التمييز بين الأعداء والحلفاء، بين قوى التغيير والقوى المعادية للتغيير، وبالتالي امتلاك الرؤية الواضحة لكل مرحلة من المراحل والمهام والتحولات المطلوبة خلالها.

٢ — التركيبة الطبقية :

أما الأساس الثاني لبناء الحزب الثوري فهو الأساس الطبقي. فالفكر الاشتراكي العلمي يعكس المصالح المادية والروحية للطبقة العاملة والفلاحين الفقراء وكل الفئات الكادحة.

اذن لا بد أن يكون الحزب الثوري منسجما طبقيا مع الموقف الايديولوجي الذي يتبناه. وقد أثبتت التجارب الثورية بأنه لا يمكن أن يتبنى الفكر الاشتراكي العلمي حزب برجوازي صغير أو حزب ليبيرالي... لكن تتبنى الفكر الاشتراكي العلمي قوى طبقية منتجة. من هنا، فان الطبقة العاملة هي المؤهلة تاريخيا من بين الطبقات الشعبية الأخرى، لقيادة النضال الثوري ايديولوجيا وسياسيا وتنظيميا (لأسباب سنأتي على ذكرها فيما بعد)، هي المؤهلة للالتزام بالاشتراكية العلمية وتطبيقها، سواء في مرحلة الكفاح من أجل التغيير، أو في مرحلة البناء الاشتراكي.

طبعا، ان بناء الحزب على أساس طبقي لايعني أن يصبح كل العمال منظمين في هذا الحزب، حتى وان كانوا هم الطبقة المؤهلة تاريخيا لقيادة نضال مجموع الكادحين. ان أفضل العمال النشطاء وأفضلهم وعيا والأكثر تفانيا في سبيل القضية الثورية هم أساس بناء الحزب الثوري الطليعي. وكذا العناصر الطليعية في البوادي من بين الفلاحين، وأيضا المثقفين الثوريين، طبعا ليس كل المثقفين الثوريين، فبعضهم عناصر ثورية تلتزم بالاطار العام، لكنها غير مستعدة للانضباط الحزبي الصارم، رغم مساهماتها الايجابية المتنوعة.. الا أن هذه المساهمات خارجة عن نطاق الانضباط الحزبي، وعند بعض المثقفين الثوريين الاستعداد والالتزام للانضباط الحزبي الصارم.

هذه المسألة في غاية من الأهمية حتى لا يظل تنظيمنا يضم شرائح عريضة من البرجوازية الصغرى، لأنه في مثل هذه الحالة، مهما حاولنا تعميق الأساس الايديولوجي في ذهن الأعضاء — على الرغم من أهميته —، فان ذلك لا يكفي بل يجب أن نربطه بالتطوير المستمر للبنية الطبقية لتنظيمنا.

ان مواصلة النضال بثبات ووعي هو الكفيل بتجذير بنية التنظيم الطبقية تجذيرا

حقيقيا ، ولأنه لا بد أن ندرك أن مشاركة الجماهير الشعبية من عمال وفلاحين وحرفيين وعاطلين... لا تتم الا حين تشعر أن هذا الحزب يمثلها حقا في كل طموحاتها وأهدافها ، وهي قادرة في نفس الوقت على التمييز بين الحزب الثورى الذى تلتف حوله وتقدم في سبيل تعزيز خطه وانتصار مبادئه الثورية التضحيات الجسام ، وبين التجمعات الانتهازية التي لا تسعى سوى الى تضليل الجماهير والمتاجرة بتضحياتها وشل قدرة الحزب الثورى على الفعل والنمو.

التمييز التنظيمي بين الطبقة العاملة وطليعتها :

مفهوم الطليعة :

ان الطبقات والفئات الشعبية التي لها مصلحة في التغيير لا تُقبل على النضال والكفاح من أجل الثورة الا اذا تمكنت من الوعي بذاتها كطبقات مستغلة مظلومة والوعي بطبيعة الطبقة السائدة وبأشكال القهر والاستغلال التي تمارسها . ان هذه الطبقات، وعلى رأسها الطبقة العاملة، لا يمكنها أن تعي وتقتنع بهذا الواقع ضربة واحدة ، وذلك لسبب بديهي أيضا ، وهو أن نفوذ وهيمنة ايديولوجية الطبقة السائدة وتأطيرها للمجتمع عبر تنظيمات الدولة عامة وتنظيماتها السياسية والاجتماعية الطبقية خاصة ، والقمع العنيف المتعدد الأشكال الذى تستعمله يحول دون ذلك.

من هنا ، فان طبقات شعبية دون أخرى تتوصل الى الوعي بذاتها . كما أن هذا الوعي يتدرج ويختلف مستواه من فئة الى أخرى داخل نفس الطبقة ، بل حتى بين مجموعة من الأشخاص وأخرى من نفس الفئة أو الشريحة وبين شخص وآخر.

باختصار ، يمكن القول : ان النضال والصراع الاجتماعي المرير يفرز طليعة ثورية من الطبقات الشعبية المحرومة ترتقي الى مستوى الوعي الثورى قبل غيرها ، وتحتل مقدمة الكفاح والمواجهة من أجل تحقيق الأهداف الثورية المرحلية والبعيدة المدى ، وذلك رغم أن كل الطبقات الشعبية بل الشعب بكامله ، باستثناء الطبقة السائدة ، يبقى مهيئا موضوعيا للمساهمة في هذا الكفاح . وللمزيد من التدقيق في تحديد مفهوم الطليعة يمكن التمييز بين مستويين :

أ) الطبقة العاملة طليعة الشعب الكادح : أى أن الطبقة العاملة كطبقة هي المؤهلة من بين الطبقات الشعبية الأخرى لقيادة النضال الثورى وذلك لأسباب معروفة ، نذكر من بينها :

* موقع هذه الطبقة من الانتاج الذى يجعلها قادرة على القيام بكفاحات ونضالات مختلفة الأشكال ، وتحقق مكاسب اجتماعية وسياسية مباشرة ، وتضعف الطبقة السائدة وتلحق الضرر بمصالحها الاستغلالية في مواقع انتاجية حساسة.

* تحرر العمال من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج (التي لا يجب الخلط بينها وبين الملكية الخاصة لأشياء فردية أو جماعية أخرى) ، واقبالهم وتقبلهم للنضال أكثر من غيرهم.

* الطبقة العاملة هي المؤهلة لقيادة النضال الثورى ايديولوجيا ، لأن الاشتراكية العلمية هي ايديولوجيتها ، وأن هذه الطبقة لاتملك سوى قوة انتاجها وهي المؤهلة للالتزام بهذه الايديولوجية وتطبيقها في جميع مراحل كفاحها.

هذا على المستوى النظرى العام ، الا أن الأوضاع الخصوصية للبلدان غير المصنعة تفرض الانتباه لخصوصيات الطبقة العاملة نفسها ولموقعها ضمن الطبقات الشعبية حيث

يتضح لنا الدور الأساسي الذي يلعبه الفلاحون الفقراء ضمن عملية التغيير الثورى ، باعتبارهم يشكلون أغلبية الشعب في بلدان مثل التي ذكرنا . كما يبرز دور المثقفين الثوريين وفئات أخرى من البرجوازية الصغرى التي تجد نفسها في أوضاع قريبة جدا من أوضاع الكادحين ، عمالا كانوا أم فلاحين أم عاطلين .. لكن هذا لا يقلل في شيء من دور الطبقة العاملة كطليعة لباقي الطبقات الشعبية — كيفما كان ضعفها العددى قياسا بباقي الطبقات — وانما يوضح لنا دورها الطليعي كخط ايديولوجي وتنظيمي ونضال متقدم ... لا يمكنه أن يبلغ أهدافه ويحقق مراميه الا بالمساهمة الواعية الفعالة للفلاحين الفقراء والمثقفين الثوريين أولا ولباقي الطبقات الشعبية ثانيا . وهنا يأتي التدقيق الثاني في مفهوم الطليعة .

ب) الطليعة الثورية الحزبية : اذا ما سلمنا بدور الطبقة العاملة — كايديولوجية وموقع في الانتاج — باعتبارها طليعة باقي الطبقات والفئات الشعبية ، فمن الضرورى أن نعود ونؤكد أن هذا التعريف يبقى تعريفا نظريا عاما ، صحيحا في عموميته ، لكنه بحاجة الى تصنيف وتمييز ، ذلك أنه — كما أسلفنا — لا يمكن للطبقة العاملة كلها أن تعي دورها وتلتزم به ضربة واحدة وبشكل شمولي ، بل ان فئات متقدمة منها فقط تصل الى هذه الدرجة من الوعي والالتزام وهي الفئات الطليعية داخل هذه الطبقة نفسها . " ان تكوين حزب للطبقة العاملة يصبح أمرا لا داعي له ولا مبرر ، لو وجدت طبقة عاملة موحدة داخليا " . (بليخانوف) ذلك أن التمايزات الموجودة بين فئات الطبقة العاملة تنعكس على صعيد الوعي ، فتحدث ضربا من التفاوت في مستوى الوعي وضوحا وعمقا في صفوفها من هنا تنبثق ضرورة وجود فصيل طليعي ، أي الحزب الثورى الذى يجسد لا الوحدة الواقعية للوعي فحسب ، بل أعلى مستوى في هذا الوعي .

وعلى عكس هذا ، هناك الظاهرة المعاكسة ، أي أن فئات خارج الطبقة العاملة يمكنها تماما أن تتخلص من استلاب الطبقة السائدة وهيمنتها الايديولوجية وتلتحق وتلتزم بايديولوجية الطبقة العاملة وتكافح وتضحي من أجلها . ونجد هذه الظاهرة بشكل خاص عند المثقفين الثوريين وبصفة عامة لدى كل فئات الشعب من فلاحين وتجار صغار وصناع وعاطلين ...

ان التنظيم الثورى لا يقتصر على الطبقة العاملة لوحدها ، بل يضم كل الفئات والأفراد الذين يلتزمون فعليا بايديولوجية الطبقة العاملة ، أي من خلال موقعهم الاجتماعي وممارستهم اليومية ينخرطون في الكفاح من أجل تحقيق أهدافها . ان الالتزام بنفس الخط والكفاح والممارسة اليومية المشتركة هو الذى يقلص الفوارق الشخصية والفئوية للعناصر الطليعية المنتمية لنفس التنظيم الثورى ، ويصهر طاقاتهم ومساهماتهم ضمن نفس المشروع المجتمعي التاريخي ، ويفرز طليعة ثورية صلبة متجانسة ، مسلحة ومتشبعة بنفس الفكر محكمة التنظيم والخطط ..

من هنا ، يصبح التمييز التنظيمي بين الطبقة والحزب ضرورة لا بد منها ، لأن مستوى متأخرا في الوعي أو متوسطا لا يمكن أن يكفل سيرا صحيحا للنضال الثورى الذى تخوضه الطبقة العاملة ، بل ان السير السليم لهذا النضال يقتضي وحدة واقعية للوعي من جهة ، وأعلى مستوى في الوعي من جهة أخرى ؛ وهذا المستوى العالي الموحد لا يمكن أن يوفره الا فصيل طليعي مسلح بنظرية الطليعة .

ان الفصيل الطليعي عندما ينفصل تنظيميا عن باقي الطبقات الثورية ، انما يهيء الظروف لنضال ناجح هدفه الإسراع بتوحيد مستويات الوعي لدى البروليتاريا ، ورفع مستواها

الى أعلى درجة لقيادة الشعب ككل نحو تحقيق الثورة والمجتمع الاشتراكي الخالي من استغلال الانسان للانسان.

ان دور الطليعة الثورية هو قيادة كفاح الشعب بكامله، ومن ثم ضرورة ارتباط الطليعة بأوسع الجماهير الكادحة وتجذرها وسطها وخوض النضال والكفاح معها دونما افراط في السبق ودونما تأخر في المعركة والمهام الطليعية في الواجهة الأمامية وصياغة مطامح الجماهير ووضع ما هو مباشر ومحدود وجزئي من المشاكل ضمن الاطار العام لمشكلة الجماهير ومساعدة هذه الأخيرة على اعطاء حكم على هذه المشاكل (التي قد تكون محدودة وجزئية وجانبية وآنية)، انطلاقا من المصالح الكلية والأساسية والبعيدة المدى والدائمة للجماهير.

خلاصة القول: أن دور الطليعة الثورية يمكن أن نشبهه بدور طليعة جيش ما، المطروح عليها خوض المعارك الأمامية وارشاد الجيش كله في طريقه وفي تنفيذ استراتيجيته وتاكتيكه.. وبالتالي الحرص على قيادة المعركة في الواجهة الأمامية دونما انقطاع عن الجيش كله ودون افراط في السبق أو التأخر.. اذ أن الطليعة وحدها لا يمكنها أن تربح المعركة، كما أن الجيش بدون طليعة، جسم مشلول وجسد بلاعينين.

٣ — التضامن الأممي

ان النضال الطبقي في كل مجتمع مرتبط ارتباطا لا ينفصم عن النضال العام لجميع الكادحين، ولا بد للحزب الثوري الطليعي أن يربط ربطا صحيحا بين المهام الوطنية والأممية لأن الحزب الثوري لا يخضع للتفرقة العنصرية أو التعصب القومي الشوفيني، ولأن نضال الكادحين هو نضال واحد ضد الاستغلال والاضطهاد الطبقيين، وبالتالي فان انتصار الثورة في أي بلد هو انتصار لكل الكادحين، ولأن الروح الأممية الصحيحة التي تجمع بين المناضلين المضطهدين والذين يكافحون جميعا ضد عدو واحد هو الاستغلال والعبودية التي يمارسها ضدهم النظام الرأسمالي العالمي.

— ان نضال العديد من حركات التحرر الوطني في بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية في ظروف معقدة ضد الاستعمار بشكليه القديم والجديد ومواجهتها لأنظمة رجعية مدعومة من قبل الأمبريالية العالمية، سياسيا واقتصاديا وعسكريا، والتي تعمل على تدعيم الطابع الفاشستي أو العسكري أو العنصري لهذه الأنظمة، كأنظمة قهر طبقي وقومي،

— ان سياسة التدخل في شؤون بلدان حركة التحرر الوطني والسعي لاجهاض تطلعات شعوبها من قبل الأمبريالية العالمية التي تقودها الادارة الأمريكية والاستمرار في سياسة البناء العسكري وتكثيف تواجدها العدواني من خلال القواعد والأساطيل المنتشرة في أرجاء المعمور،

— وفي المقابل، فان تناقضات عالم الرأسمال تتسع وتتعمق لتشمل كل جوانب الحياة ويحتدم الصراع الطبقي، وتتسع مظاهر المقاومة والرفض في أوساط قطاعات واسعة من السكان، وتشكل الطبقة العاملة وأحزابها الطليعية قوة أساسية في مواجهة الرأسمال، كما يتنامى دور فصائل العملية الثورية الأخرى، الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية وحركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية في تحديد مسار عملية تطور سياسي دوليا..

ان كل هذه الظروف تجعل قضية التحالف الاستراتيجي مع قوى التحرر والاشتراكية في العالم تحتل مكانة بارزة في سبيل تأمين مستلزمات النهوض الكفاحي لحركة التحرر العالمية.

المبادئ التنظيمية التي يرتكز عليها الحزب الثوري

سبق لنا القول بأن البناء التنظيمي للحزب الثوري وأشكال عمله وحياته الداخلية ينبغي أن تكون ملبية لنضاله السياسي. ففي حزب مكون من أفضل العناصر الطليعية للطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين الفقراء والمثقفين الثوريين.. لا بد أن تكون هذه العناصر موحدة. ان التنظيم الموحد والمتماسك هو الأكثر قدرة على التأثير والفعل وأكثر قدرة على أن يلعب دورا كبيرا في قيادة المجتمع.

ومن الأسس التي يقوم عليها الحزب الثوري، مبدأ المركزية الديمقراطية. هذا المبدأ الذي كان مثار نقاش طويل داخل الحركة الثورية العالمية وبين مختلف التنظيمات التقدمية. ولم يكن الصراع من أجل ارساء هذا المبدأ — الذي هو حجر الزاوية والمحدد الرئيسي في قيادة الحزب التنظيمية — بأقل حدة وضراوة من الصراع حول النظرية والبرنامج.. اذ كان البعض يفهم المركزية فهما بيروقراطيا على أساس الانضباط الحديدي الصارم الذي لا يخضع لأي نقاش ولا أي ابداع أو مبادرة لأي نشاط سياسي. والبعض الآخر يفهم الديمقراطية فهما خاطئا ويعتبرها حالة تسيب وفوضى.

جاءت اللينينية لترد على هذه الأفكار الخاطئة ولتضع مبدأ المركزية الديمقراطية كمبدأ أساسي للعمل في صفوف الحزب موضحة كيف يمكن الجمع الصحيح بين المركزية والديمقراطية.

١) المركزية الديمقراطية :

ان المركزية تعني وجود مراكز للقرار داخل التنظيم الثوري تبدأ بمراكز القرار الدنيا التي تهم السير القاعدي للحزب لتصل الى المركز القيادي الأساسي المسؤول عن السير العام للتنظيم ومبادراته وقراراته. أما الديمقراطية فانها تعني حق كل عضو من أعضاء التنظيم في المساهمة في تحديد الاختيارات الايديولوجية والاستراتيجية والتنظيمية للحزب والمواقف الأساسية التي يتخذها وبصفة عامة الأهداف البعيدة والقريبة المدى التي يرسمها.

ان مفهوم المركزية الديمقراطية يجمع في آن واحد بين المركزية التي تفرضها ظروف الكفاح، اذ لا بد لأي تنظيم مكافح من مركز للقرار يسهر على حسن تنفيذ الاختيارات والخطط المتفق عليها بشكل جماعي، وعلى اتخاذ المبادرات والتدابير التي تفرضها ظروف النضالات والمعارك، وبين الديمقراطية كمبدأ أساسي لا تنازل فيه داخل تنظيم ثوري، اذ هو الذي يسمح لكل عضو عضو بابداء رأيه بحرية في كل القضايا الجوهرية الأساسية (وليس بالضرورة في التفاصيل والجزئيات) والمساهمة في صنع كل الاختيارات والقرارات الأساسية التي يتخذها التنظيم، ويعتبر احترام الديمقراطية في الحياة الداخلية للتنظيم وتطبيقها تطبيقا سليما، أي ما يمس العمق وليس الشكليات، ضمانة أولى لاحترام الديمقراطية وتطبيقها بالنسبة للمجتمع ككل والذي يسعى هذا التنظيم الى تغييره وبنائه.

واذا كانت الديمقراطية تعني أول ما تعنيه حرية النقاش وابداء الرأى في القضايا الأساسية، فانها تعني أيضا خضوع الأقلية وانضباطها لرأى الأغلبية الذي يصبح رأى وقرار التنظيم ككل.. وهي الطريقة الوحيدة لحسم الخلافات أو النقاشات أو التمايزات في وجهات النظر، وتوحيد المواقف الخارجية للتنظيم وخططه وأهدافه

(اذ ليس هناك من طريقة ديمقراطية أسلم وأفضل) .

فالمناقشة الحرة الواسعة التي يجب أن تعم التنظيم ككل لا بد وأن تحسم لأجل الفعالية والانسجام في اتجاه الرأى الغالب والسائد ، أى رأى أغلبية الأعضاء الذى يصبح ملزما للجميع في الممارسة العملية الى حين تبدل هذا الرأى أو تجاوزه بشكل ديمقراطي ، وهذا ليس معناه كبت أو قمع رأى الاقلية ، بل ان من حق هذه الاقلية أن تحتفظ برأيها داخليا وتسعى لاقناع الأغلبية به بالنقاش الديمقراطي والاحتكام للأحداث والوقائع ، وامتحان الآراء والمواقف من خلال الممارسة الفعلية .

ان التلاؤم بين عمل حزبي منظم ومتماسك في جسد واحد له حركة نشاط ايديولوجية وتنظيمية موحدة ، وبين أن يكون هذا التنظيم أيضا تحكمه الديمقراطية الداخلية في النقاش بحرية والمشاركة في صياغة سياسة الحزب وانتخاب القيادة الحزبية من تحت الى فوق ، وانتماء كافة أعضاء الحزب ومشاركتهم مشاركة نشيطة في احدى منظمات الحزب القاعدية ، ودفع الاشتراكات ، والنضال بدون كلل لانجاز البرنامج المتفق عليه بشكل جماعي ، كل هذا يفسر الأهمية الكبرى لمبدأ المركزية الديمقراطية بالنسبة للحزب الثورى .

ان الظروف الذاتية والموضوعية لتنظيم الحركة الثورية في حالة من التغير الدائم ، ومن الضروري أن يكون جدل اللحظة الديمقراطية واللحظة المركزية مفهوما على حقيقته عبر سلسلة الأوضاع التي تمر منها الحركة الثورية . ففي حالة اشتداد الصراع واحتداد النضالات والكفاحات وما يواكبها من قمع ومنع وتضييق على الحريات يصبح التنظيم الثورى في حالة يستحيل معها إتاحة الفرصة لتنظيم عملية إبداء رأى كل الأعضاء في القضايا المطروحة ؛ لذلك فان القيادة الثورية تتكيف مع ظروف القمع هذه وتعرف كيف تحفظ مصالح التنظيم وتحرص على الوفاء التام والانضباط الدقيق للأهداف المرسومة بشكل جماعي ، فتطغى في هذه الحالة اللحظة المركزية التي تصل الى حد الأوامر النافذة . أما عندما تكون الظروف العامة سانحة لتطبيق الديمقراطية بشكلها الواسع الكامل ، سواء في مرحلة الكفاح من أجل التغيير أو في مرحلة البناء ، فلا يبقى للتنظيم الثورى أى مبرر في عدم تنفيذها وجني ثمار المساهمات الجماعية الخلاقة .

يتبين اذن أن مبدأ المركزية الديمقراطية ليس بمفهوم جامد ، لكن تطبيقه السليم يخضع للظروف المحيطة بالتنظيم الثورى ، ويسعى الى ايجاد التوازن بشكل جدلي بين ضرورة المركزية لأجل الفعالية والمبادرة وضمان وحدة القرار والخطط .. والديمقراطية كمبدأ ثابت للسير الداخلي كما في الحياة المجتمعية بصفة عامة . " مبدأ المركزية الديمقراطية الذى يضمن في آن واحد ديمقراطية الحزب وفعالية نشاطه ، بل يضمن مع الهيكل المنظم للحزب استمرار نشاطه في جميع الظروف سواء منها العادية أو الاستثنائية ، وهو الذى يجعل الحزب قبل كل شيء قادرا على رسم خطته وتنفيذها ، أى على الاحتفاظ بزمام المبادرة بدون أن يضطر الى تغيير سياسته وخطته مع تغير مبادرات الخصم وهذا يعني أن الحزب المنظم بهذا الشكل والمسير بهذا المبدأ يسير دائما الى الأمام ويحقق مكاسب متفاوتة الأهمية ، بدون أن تفرض عليه مبادرات الحكم فقدان أى مكسب ، لا من حيث تقوية تنظيماته ولا من حيث نفوذه وسط الجماهير . " (المذكرة التنظيمية ١٩٦٥)

ان الأهمية الكبرى التي يشكلها مبدأ المركزية الديمقراطية بالنسبة للتنظيم الثورى تقتضي تحديد الأسبقيات بالنسبة لكل وضعية وضعية ، وقطع الطريق في نفس الوقت أمام امكانية الانحراف الواردة باستمرار ، نظرا لدقة التطبيق هذا وامكانية انفلاته نحو اختلال التوازن المذكور

اما بالافراط في المركزية بدون مبرر والانحراف نحو البيروقراطية، واما بتمييع الديمقراطية واخراجها عن نطاق ما هو أساسي وجوهري لاغراقها في الجزئي والثانوي والانحراف بها نحو الليبرالية والشكليات الانتخابية والتمييع والفوضى.

ومن أجل تقليص احتمالات هذه المخاطر والمزالق، لا بد من التقيد ببعض الضوابط والقوانين التي يجب أن ترافق مفهوم المركزية الديمقراطية في كل تطبيقاته وهي التي سنأتي بها فيما بعد.

٢) القيادة الجماعية:

المبدأ الأساسي الثاني هو مبدأ القيادة الجماعية. فمهما كانت عظمة الفرد ودوره في التاريخ، يظل مبدأ القيادة الجماعية هو المبدأ الصحيح. ان أي تكريس للنزعة الفردية أو التأليه للفرد يتعارض كليا مع قيم ومبادئ الحزب الثوري، باعتبار الحزب في التحليل الأخير هو القائد للشعب، هو الذي يحل مشاكل الشعب، هو القائد والمربي للجماهير.. من هنا تأتي أهمية القيادة الجماعية باعتبارها المبدأ الصحيح الذي على أساسه يمكن جمع كل الطاقات ضمن آراء جماعية وعلى أساس جماعي. لكن في نفس الوقت لا يعني مبدأ القيادة الجماعية انتفاء المسؤولية الفردية، بل بقدر ما تكون القيادة جماعية تكون المسؤولية فردية، يعني أنه لا يمكن القبول بأي مبرر لأي مسؤول في قطاع معين أو مؤسسة معينة أو نقابة أو جمعية.. لأي تقصير أو نقص يفسر على أنه يعود لمبدأ القيادة الجماعية وأنه ينتظر رأي جماعي وأنه ليس الوحيد الذي يتحمل المسؤولية لأن الجميع يتحملونها وهو واحد من الجميع... العلاقة واضحة بين أهمية القيادة الجماعية وبين احساس الفرد بالنسبة للمسؤولية التي تناط به ليكملها وينجزها على أحسن وجه.

بعد استعراضنا لأهمية ودور القيادة الجماعية بالنسبة للتنظيم الثوري، لا بد من الاشارة الى الدور الهام الذي يلعبه قادة الطبقة العاملة عبر مختلف مراحل نضالها. اذ بامكان شخصية مميزة أن تلعب دورا هاما بالرغم من عدم قدرتها على تغيير مجرى التاريخ وفقا لرغبتها. ان هذه الشخصية المميزة القادرة بأعمالها على تسريع سير الأحداث وتبيان الاتجاه الذي يسمح بالوصول الى الهدف المحدد بسهولة أكبر، أو أنها بالعكس قد تلجم التقدم وتزيد من صعوباته. ان الشخصيات المميزة هي التي تفهم بسرعة أكبر ووضوح أكثر وأفضل من الآخرين الوضع الجديد ومتطلباته، وهي التي تستلم قيادة حركة الجماهير ويتوقف النجاح في نشاط الجماهير الشعبية الى حد كبير على طريقة تنظيمها وعلى "الزعماء" الذين يقودونها، اذ ليس بامكان الطبقة العاملة أن تنتصر على مستثمريها اذا لم تختر قادة سياسيين مقمرسين طليعيين قادرين على تنظيم الحركة وقيادتها. وان مكانة القائد لا تتعلق بألقابه ولا برُتَبه، بل بمعارفه وتجاربه، بموهبته وعلمه وعمله ومهارته في تنظيم الجماهير وفن قيادتها، وبما يبديه من اهتمام بحاجة الجماهير وتطلعاتها وهمومها. ومع تأكيدنا على الدور الذي تلعبه الشخصيات المميزة والقائدة، يجب الوقوف ضد تمجيد هذا القائد أو ذاك، فتمجيد الفرد يؤدي لا محالة الى التقليل من دور الجماهير وحزبها في إنجاز المهام التاريخية.

ضوابط المركزية الديمقراطية

أ) الانضباط والمحاسبة:

يشكل الانضباط أحد الشروط الأساسية في السير العادي لأي تنظيم ثوري، ويعني الانضباط التقيد الحرفي في الموقف والممارسة بمواقف التنظيم ككل وقراراته، وتنفيذها

تنفيذا حرفيا أمينا ، وقد يصل الانضباط في بعض الحالات — المعارك والمواجهة — الى درجة الانضباط الحديدي الذي يشابه الى حد بعيد الانضباط العسكري داخل جيش ما ... الا أن هناك فرقا جوهريا بينهما ، وهو أن الانضباط الثوري ليس آليا بل واعيا ولا يمكن في أي حالة من الحالات أن يكون تعسفيا أو ناتجا عن الفرض والاكراه ؛ انه يعني بالضرورة الالتزام الحر والواعي بالخط الايديولوجي أولا وقبل كل شيء ، والتفاني في خدمته عن وعي وقناعة والاقبال على العطاء والتضحية من أجل نصرته . وهذا الانضباط لا يهم الفرد فحسب ، كيفما كانت درجة مسؤوليته ، بل هو قانون ملزم للجميع يهم كل الهيئات والاطارات التنظيمية وفق القاعدة العامة : انضباط الهيئات السفلى للهيئات العليا المنتخبة ديمقراطيا . فحرية النقاش والنقد ترتبط بالنضال النشيط من أجل وضع القرارات موضع التنفيذ . واذا ما عبرت الأكثرية عن ارادتها بوضوح ، فمن واجب الأقلية الخضوع والانضباط لهذه الارادة والعمل بمقتضاها . واذا ما اتخذت منظمة عليا في الحزب قرارا نضاليا ، فمن واجب المنظمة الدنيا الخضوع له وتنفيذه بدقة ووعي .

إن الانضباط الصارم في الحزب الثوري لا يمس مطلقا حقوق الأعضاء ، ولا يمنعهم من التعبير عن آرائهم حول كل القضايا المتعلقة بحياة الحزب . فالديمقراطية والانضباط مرتبطان بشكل متين ولا يمكن معارضة أحدهما بالآخر . ان الديمقراطية داخل الحزب يجب أن ترتبط بتنظيم دقيق للعمل وأن تؤمن التطبيق السريع للقرارات . ان الانضباط الحديدي الواعي هو سر نجاح الطلائع الثورية — كيفما كان ضعفها العددي — في قيادة الثورات الشعبية نحو الانتصار على أعدائها الطبقيين ، لأنه هو مصدر قوتها الحقيقية الكامنة في تماسكها والتحامها . وفي غيابه تصبح الطليعة عبارة عن مواقف وشعارات في أحسن الحالات وتعمها الفوضى والتشرذم .

واذا كان الانضباط واجبا أساسيا من واجبات الفرد أو الهيئة التنظيمية ، فلا معنى له ولا جدوى الا بمصاحبته بحق المحاسبة في جميع المستويات ، سواء كحق يتمتع به الفرد أو تتمتع به الهيئة التنظيمية . فالمحاسبة الفردية تسمح لأي عضو داخل هيئة تنظيمية معينة من محاسبة بقية الأعضاء على انضباطهم والتزامهم وتنفيذهم للمهام والقرارات المتخذة وملاحظة وتسجيل اخطائهم وانحرافاتهم اذا كانت هناك من أخطاء وانحرافات . أما المحاسبة الجماعية فهي تسمح لهيئة تنظيمية معينة من محاسبة الهيئة العليا منها على القرارات والمبادرات التي اتخذتها ، وامتحان مدى صحتها وجدواها من خلال النقاش والممارسة العملية في آن واحد . كما أنها تسمح بالعكس ، أي محاسبة هيئة سفلى على مدى انضباطها وتنفيذها للمهام الملقاة على عاتقها واحترامها للقرارات والخطط المرسومة .

هكذا ، فان الانضباط والمحاسبة مرتبطان بشكل متين ، وهما ضابطان عمليان في تنفيذ مبدأ المركزية الديمقراطية ، لأنهما يضمنان المركزية من خلال الانضباط من جهة وجانبا من جوانب الديمقراطية من خلال المحاسبة من جهة ثانية .

ب) <u>النقد والنقد الذاتي :</u>

النقد هنا يعني حق كل عضو في انتقاد مواقف أو خطط وقرارات التنظيم ، وابراز نواقصها أو أخطائها أو انحرافاتها ، وتقديم البديل بشأنها كما يفهمه أو يراه ، وحقه في انتقاد سلوك أو ممارسة فرد أو هيئة تنظيمية . ومفهوم النقد هنا يقترب كثيرا من مفهوم المحاسبة ، الا أنه لا يقف عند حدود المحاسبة حول قضية ما أو قرار متخذ أو برنامج متفق عليه أو جانب من جوانب الانضباط ، بل يتوسع ليشمل كل القضايا بما فيها المتعلقة بالخط الايديولوجي

والسياسي.

أما النقد الذاتي فيعني بكل بساطة تنفيذ نفس منطلق النقد على الذات نفسها، أي انتقاد الفرد لنفسه وقت ارتكابه لخطأ ما أو تسببه في تعثر معين، أو اعتراف هيئة تنظيمية معينة كيفما كان موقعها التنظيمي بخطئها وانتقاد نفسها لنفسها بشكل جماعي والتزامها الجماعي كذلك بتجاوز الخطأ والاستفادة منه وعدم تكراره. ويعتبر النقد الذاتي أسلم طريقة لتجاوز العيوب والنواقص والأخطاء، والوعي الدقيق بطبيعتها والاستفادة من دورها بالنسبة للمستقبل.

من هنا، فان النقد والنقد الذاتي توسيع لمفهوم المحاسبة وبالتالي توسيع للديمقراطية بمفهومها الثوري الكامل. ذلك أن ممارسة ودفع تطور النقد والنقد الذاتي هو أحد الشروط الضرورية لتدعيم القدرة الكفاحية في صفوف الحزب وتمتين صلاته مع الجماهير. ان الحزب الثوري لا يمكن أن يقوم بدوره كاملا اذا كان يخشى الاعتراف صراحة بأخطائه والبحث عن الأساليب والوسائل لتجاوزها. "ان مسلك الحزب السياسي تجاه أخطائه هو أحد المقاييس الأكثر أهمية والأكثر ضمانة للحكم فيما اذا كان الحزب جديا واذا كان يقوم بواجباته تجاه طبقته والجماهير العاملة. أن يعترف الحزب صراحة بخطئه، وأن يكشف السبب ويحلل الوضع الذي أدى له، ويعالج بانتباه الوسائل لاصلاح هذا الخطأ، هذه هي سمات الحزب الجدي، وهذا ما يدعى بالنسبة له القيام بواجباته وتربية وتعليم الطبقة ومن ثم الجماهير". (لينين، المؤلفات، باريس موسكو، الجزء ٣١، ص: ٥٢).

في هذا الاطار يترتب على كل عضو في الحزب واجب تطوير النقد والنقد الذاتي والكشف بشجاعة عن الأخطاء والتمسك بازالتها ومقاومة كل محاولة لخنق الانتقاد شريطة أن يجري وفقا لقواعد حياة الحزب، وأن لا يخرج عن حدود الروح الحزبية بنية الاصلاح والتقويم وليس بنية الهدم والتخريب وما يجلب الضرر لقضيتنا المشتركة. لذلك لا ينبغي السماح لأي كان باستغلال حق المناقشة الحرة لقضايا الحزب باستخدام الديمقراطية داخل الحزب لأغراض دنيئة. "ان حرية الانتقاد شيء رائع، بيد أنه بعد موافقتنا على ذلك، فليس من الخطيئة في شيء ان نحن أعرنا اهتماما لمحتوى الانتقاد". (نفس المرجع السابق، ص: ٤٢٤).

النقد والنقد الذاتي يجب أن يتوجه لما هو أساسي وجوهري، وليس بنية الاستفادة من أخطاء الآخرين والركوب عليها وبناء نفوذ شخصي أو جماعي من خلال استغلالها. "عندما تسمعون نقدا كهذا، نقدا بدون محتوى، نقدا من أجل النقد، احترسوا، فتشوا عما اذا كانت كبرياء مقدم النقد قد جرحت أو أنه قد استثير.." (نفس المرجع السابق، ص: ٤٥٤)

ان تطبيق النقد والنقد الذاتي بشكل سليم يرتقي في التحليل الأخير الى عمل ايديولوجي وسياسي رفيع، يحمي الأجهزة والهيئات والافراد من كل أنواع الانحراف والأخطاء الكبيرة، ويساعد الحزب على تربية أعضائه بالروح الثورية، ويضمن النقاش الديمقراطي التصحيحي والمساهمة الجماعية الخلاقة في ضبط سير التنظيم داخليا وخارجيا وتطويره وتحسينه باستمرار.

ج) الانتساب الى الحزب:

ان قضية العضوية قضية أساسية في البناء الحزبي، ذلك أن التركيب البشري للحزب يحدد الى درجة كبيرة السياسة التي يتبعها والطريقة التي يقيم عليها تنظيمه، كما يحدد

الطرق والأساليب التي يلجأ اليها من أجل الوصول الى أهدافه وكيفية حل القضايا التي يواجهها • الحزب لا يستطيع أن يقوم بدوره بنجاح الا اذا كان يضم الى صفوفه العناصر الأكثر تقدما والأكثر وعيا وتفانيا واستعدادا للتصدى لكل الصعوبات وتجاوز كل العقبات وتذويب مصالحهم مع مصالح الحزب، لأن قوة الحزب لا تتحدد بعدد أعضائه بقدر ما تتحدد بنوعيتهم الرفيعة وتنظيمهم الجيد •

ان التنظيمات الثورية لا تمنح العضوية لأى فرد أراد الانتماء الى صفوفها الا بعد دراسة مدققة لامكانية الفرد الفعلية، والبحث عن الدوافع الحقيقية التي جعلته يطلب الانتساب للتنظيم الثورى • وحتى في حالة التأكد من نزاهة الفرد وقناعته ووعيه بالنظرية الثورية للحركة، واستعداده للاسهام بنشاط وفعالية من أجل تحقيق أهداف الحركة، فلا تمنح له العضوية فورا، لأنه مهما تحققت القناعة اللحظية عند طالب العضوية، فلا بد من مروره بمرحلة زمنية تتفاوت مدتها من حركة لأخرى لدراسة الفرد واختباره فكرا وممارسة حتى تتحقق قناعة التنظيم بأهليته وانتسابه للحركة الثورية • ذلك هو التفاعل بين اللحظة الديمقراطية (الاختيار الحر للفرد بالانتماء للحركة الثورية) واللحظة المركزية (قرار التنظيم بمنح العضوية) •

ولكي تكتمل شروط الانتماء يجب على عضو الحزب أن ينتمي بصورة الزامية الى احدى منظماته (خلاياه) ، لأن الحزب نظام منسجم متجانس مؤلف من منظمات حزبية تعمل وفق خطة موحدة • فداخل المنظمات الحزبية يتكون المناضلون الثوريون ويساهمون في مناقشة كل المسائل المتعلقة بحياة الحزب، كما أن الحزب يراقب عبر هذه المنظمات مدى تنفيذ البرامج المسطرة ومدى احترام نظامه الداخلي •

وحيث أن الحزب منظمة اختيارية مستقلة تسعى الى تغيير واقع الاستغلال ، فان نضالها وتحركها يستلزمان تكاليف ومصاريف باهظة، وبما أن الجزء الأكبر من موارد الحزب تؤمنه اشتراكات أعضائه، فان العضو الحزبي ملزم بتسديد اشتراكه بانتظام • واذا ما أبدى العضو الحزبي عدم اهتمامه بهذا الأمر، فانما يعبر عن ضعف في روحه الانضباطية، وتفقد الثقة في أنه سيتصرف بجدارة في أوضاع أكثر صعوبة • " اذا لم تسددوا اشتراكاتكم في الوقت المحدد ، فهذا يعني أنكم لا تفكرون في الحزب، وأنكم تهملون واجباتكم كأعضاء فيه • فالذى يتخذ هذا الموقف تجاه واجباته الحزبية وأكثر من ذلك تجاه واجب بهذه البساطة ذي طابع تنظيمي صارم كتسديد الاشتراكات ، لا ينظر الى الحزب بجدية • فدفع الاشتراك بالنسبة للشخص الذى يفكر بالحزب هو مصدر رضى ، لأنه بذلك كما لو أنه يقيم علاقة مادية بينه وبين الحزب ، ويمكن القول : أنه يقترب منه الى درجة ملامسته " • (كالنين ، الدعاية السياسية ، جوسبو ليتزدات، ١٩٤٨ ، ص : ٤٧) •

هكذا فالمركزية الديمقراطية مصحوبة بالضوابط المتفرعة عنها (الانضباط، المحاسبة، النقد والنقد الذاتي ، العضوية •••) تشكل المفهوم والعماد القوى الذى يتبناه وينفذه كل تنظيم ثورى ويترجمه ضمن قانون داخلي يحدد واجبات وحقوق الأعضاء والهيئات ، ويسطر قوانين الحياة الداخلية للتنظيم التي يتقيد بها كل من انتمى اليه •

الخلاصة :

ان تحديد الأشكال والأساليب التنظيمية التي ينبني عليها التنظيم الثورى يخضع في الحقيقة الى جملة من الاعتبارات والضوابط والتي نلخصها على النحو التالي :

* ان الثورة لا يمكنها أن تحدث بشكل تلقائي أو آليا ، لسبب بسيط من بين أسباب أخرى هو أن الطبقة السائدة لا تتنازل تلقائيا وطواعية عن امتيازاتها واستغلالها بل فقط بعد هزيمتها الطبقية أمام كفاح الكادحين وطليعتهم الثورية.

* كما أن الثورة لا تأتي نتيجة عمل يوم واحد (الا في التصور الخيالي الطوباوي) بل أنها تشكل في النهاية النقلة النوعية التي تتوج التراكم الكمي والنوعي في الوعي والمكاسب الذي يحققه النضال اليومي الدؤوب والطويل النفس.

* الطليعة الثورية لا تقوم بالثورة لوحدها ، بل بمساهمة ومشاركة فعالة من طرف أوسع الجماهير الشعبية المنظمة والمجندة في مختلف واجهات النضال.

* التنظيم الجماهيري المفتوح والمائع يمكنه أن يجند فئات واسعة من الشعب ، لكنه عاجز تماما عن خوض المعارك الحاسمة بنجاح وفعالية ، والصمود أمام الضربات القمعية التي لن تتأخر الطبقة السائدة في تسديدها له.

* التنظيم المغلق الذي يسعى الى تغيير الأوضاع عن طريق العنف المعزول شعبيا ، لا يمكنه الا أن يقدم مبررات اضافية لتثبيت شرعية الطبقة السائدة وقمعها العنيف.

انطلاقا من مجمل هذه الاعتبارات والضوابط ، نستخلص أن أشكال وأساليب التنظيم الثوري الطليعي لا يمكن أن تكون شكلا واحدا وقالبا جامدا ، فهو ملزم بالارتباط بالجماهير الكادحة قصد التوعية والتأطير والنضال — وذلك عبر كل مراحل الثورة والمراحل السابقة لها واللاحقة — وبالتالي ملزم بتأطير كل واجهات النضال الجماهيرية ، بدءا بالواجهة الثقافية والفكرية للدعاية للأفكار الاشتراكية ونشرها وسط الشعب ، وصولا الى العمل المطلبي والنقابي الذي يجند مختلف الفئات في مختلف القطاعات والمهن من أجل تحقيق مكاسب مادية ملموسة ومرورا بالعمل الجمعوي والتربوي والترفيهي المختلف الأشكال والأنماط. وهذا ما يضمن له التواجد والتجذر وسط الجماهير ومشاركتها ومحنها من الموقع الطليعي وتأطير نضالها الواسع النطاق من جهة. ومن جهة ثانية ، فان التنظيم الثوري الطليعي ملزم بتحضير نفسه للمعارك الحاسمة وفق نضج الظروف الموضوعية والذاتية معا ، وتوفر الشروط للنقلة النوعية في كفاح الكادحين. من هنا ، فهو ملزم بضبط هياكله وتصليبها حتى تكون قادرة على مواجهة هذه النقلة وتلك المعارك الناضجة.

خلاصة القول : ان التنظيم الثوري الطلائعي هو الذي يسعى باستمرار الى التواجد والتجذر وسط الطبقات الشعبية الأساسية ، والى تنويع أشكاله وأساليبه النضالية في مختلف الواجهات ، مع الخضوع للظروف الموضوعية والاحتكام اليها في اعطاء الأسبقية لهذا الأسلوب أو ذاك ، ومع القدرة على التحول السريع من أسلوب الى آخر حسب مقتضيات الظروف وطبيعة المرحلة. وهكذا ، فان التنظيم الثوري الذي نتحدث عنه لا يمكنه أن يكون بمثابة مجموعة معزولة ، أو عكس ذلك تجمع واسع مائع ، بل الأداة الثورية ذات الوزن والثقل والحضور وسط الشعب كله بخطها الايديولوجي الرصين وأجوبتها عن كل قضايا التغيير وبناء المجتمع الجديد وكل القضايا السياسية والاجتماعية المطروحة ، وبتنظيمها الوظيفي المتجذر طبقيا في كل واجهات النضال القادر على الصمود والاستمرار كيفما كانت الظروف " عادية أم استثنائية " ، ظروف التراكم البطيء للمكاسب النضالية أم ظروف النقلة النوعية والنضالات الحاسمة...

خـاتمـة :

ان المفاهيم التنظيميـة الثوريـة تستمـد منطقها وسر وجودها مـن الاختيارات الايديولوجيـة والاستراتيجية الواضحة في اطار خط الاشتراكية العلمية وانها في النهاية مجرد **انعكاس** واستنتاج طبيعي لتلك الاختيـارات ، اذ "لا **حـركـة ثورية بـدون** نظريـة ثوريـة" .

يبقى لنا أن نؤكد كخاتمـة ، على أن العكس صحيـح أيضا .. أي أن لا فائدة في النظرية والاختيار الايديولوجي بدون أداة ثـورية لتطبيقـه وتنفيـذه وتجسيده على أرضيـة الواقـع الملموس .. وهذا مـا يؤكد الربـط الجدلي بين النظريـة والممارسـة ، بين القنـاعـة الراسخة بالأهداف والعمل اليومي الدؤوب والصبور من أجل تحقيقهـا . واذا مـا تـم هذا الربط الجدلي المتيـن بين النظريـة المتينـة والتنظيم المتين كذلك في عمليـة من الأخـذ والعطاء والإغنـاء المتبادل ، إذ ذاك ترتقي النظرية الى مستوى المـذهـب والعقيدة ، ويشكـل الحماس والتضحيـة السخيـة أرقى أشكال القنـاعـة والالتزام ، ويحقق التنظيـم " المعجزات" في الثورة والتغيير والبنـاء الاشتراكي ... ذلك مـا أبرزتـة وأثبتتـه تجارب الشعوب .

لجنة التكوين النظرى

مـلاحـظـة : رفقـة هذا الموضوع ملحـق حـول المركزية الديمقراطية وضوابطهـا . (مجـلة دراسات عـربيـة)

المـراجـع :

* القـواعـد اللينينيـة في حياة الحزب الداخلية .
* الاختيـار الثـورى ، عـدد : ٣ ، سنة ١٩٨٤ .
* مـقـالات من دراسـات موثقـة .
* **"محطات على مسار حزب لينين" .(جريدة المسار العددان :** 14 — 15) .